مواطن الفساد والإفساد!!

الداء والدواء!!!!!!!

إعداد

د. ناجي بن وقدان

المدينة النبوية

١٤٤١/٧/٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد:

حَرَّم الله الفساد والإفساد لما لهما من آثار سيئة على الفرد والمجتمع،ومن ثم على الأمة أجمع.وما من نبي ولا رسول إلا وينهى قومه عن الفساد. والفساد في اللغة ضدُّ الصلاح، والاسْتِفْسَادُ خلاف الاستصلاح، والَمفْسَدَة خِلاف المصلحة، والفساد خروج الشيء عن الاعتدال، قليلًا كان الخروج أو كثيراً، قال ابن الجوزي رحمه الله (الفساد تغيُّر عمَّا كان عليه من الصَّلاح، وقد يقال في الشيء مع قيام ذاته، ويقال فيه مع انتقاضها، ويقال فيه إذا بطل وزال، ويُذكر الفساد في الدِّين كما يذكر في الذَّات، فتارةً يكون بالعِصيان، وتارة بالكفر، ويُقال في الأقوال إذا كانت غير منتظمة، وفي الأفعال إذا لم يعتدَّ بها) نزهة الأعين النواظر ص٤٦٩ ،وقال الجُرجاني (الفساد زوال الصورة عن المادة بعد أن كانت حاصلة، وعند الفقهاء: ما كان مشروعاً بأصله، غير مشروع بوصفه، وهو مرادف للبطلان عند الشافعي) التعريفات ص٢١٤ ، وقال المناوي(الفساد هو انتقاص صورة الشيء، وفساد الوضع أن لا يكون الدليل على الهيئة الصالحة لاعتباره في ترتيب الحكم، وفساد الاعتبار أن يخالف الدليل نصًا أو إجماعًا وهو أعم من فساد الوضع) التوقيف للمناوي ص٥٥٦.

والفساد بتعريفه أعمُّ منَ الظلم، لأنَّ الظلم نقص، أما الفساد فيقع عليه وعلى الابتداع واللهو واللعب. أنظر الكليات لأبي البقاء ص١٠٩٧، وأمَّا الإفساد فقد فُسِّر بأنه جعْل الشيء فاسدًا خارجًا عمَّا ينبغي أن يكون عليه، وعن كونه مُنتفعًا به، والإفساد في الحقيقة إخراج الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح. انظر الكليات لأبي البقاء ص٢٢٠.

والله عز وجل قد أبان في كتابه الكريم عدم محبته للفساد والإفساد وأهله،فقال عز وجل﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وقال سبحانه ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال جل شأنه ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧].ولما قضى الله وقضاءه حق أن يجعل في الأرض خليفة،كان للملائكة سؤال واستفهام، لمعرفة الحكمة من ذلك، لا على وجه

الاعتراض على قدر الله وحكمته،ولا حسدا لبني آدم ،فقالوا إن من شأن بني آدم الإفساد في الأرض وسفك الدماء،كما قال عز وجل﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠]، وأخبر جل وعلا عن حال المنافقين الذين لا هم لهم إلا السعي في الأرض للفساد والإفساد،وإثار القلاقل والفتن واستجلاب النقم والعقوبات على البلاد والعباد، فقال عز وجل ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٦]، إلى غير ذلك من الآيات التي تذم الفساد وأهله،والذين يناوئون الحق والصلاح والإصلاح ويسعون في الأرض فسادا.

مواطن الفساد والإفساد:

الموطن الأول: موطن النفاق: والنفاق مرتع خصب لبذور الفساد ،ومنه وبه ينتشر الفساد،ولذلك كشف الله حال المنافقين،الذين يفسدون ويخبون،ويسعون لإفساد ذات البين، وإشعال الفتن باسم الإصلاح، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١ - ١٢] فهذه هي حقيقة المنافقين وصفاتهم وأخلاقهم إذا ناداهم المؤمنون ﴿ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ ﴾ أي بالمعاصي والتعويق عن الإيمان، وإغراء أهل الكفر والطغيان على أهل الإسلام والإيمان، وتهييج الحروب والفتن، وإظهار الهرج والمرج والمحن، وإفساد ذات البين بين الجيران والأقارب والأزواج والأرحام، ﴿ قَالُوا ﴾ في تلبيس باطلهم بالحق ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ قال بعض المفسرين(فردّ الله عليهم ما ادَّعوه من الانتظام في سلك المصلحين بأبلغ ردّ، من وجوه الاستئناف الذي في الجملة، والاستفتاح بالتنبيه، والتأكيد بإن وضمير الفعل، وتعريف الخبر، والتعبير بنفي الشعور، إذ لو شعروا أدنى شعور لتحقَّقوا أنهم مفسدون) البحر المديد.

الموطن الثاني: المعاصي ، والمعاصي سبب قوي من أساب الفساد والإفساد في الأرض ،ينعكس ضررها بشكل مباشر على المجتمع والثمار والبر والبحر،ويصل دخنها إلى الحيوانات والعجماوات، وبها تحل النكبات،وتزول النعم، كما قال عز وجل(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) [الروم ٤١]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦] أي: لا تفسدوا في الأرض بالمعاصي الموجبة لفساد العالم بالقحط والفتن، بعد إصلاحها بالخصب والأمان، بما يحقّق منافع الخلق ومصالح المكلَّفين، فالنهي هنا عامّ يشمل كلَّ فساد قلَّ أو كَثُر، ومن أنواعه، إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان وغيرها [تفسير البغوي ٢٣٨]. وفي الآية دلالة على أن إقامة الدين وتطبيق حدود الله،وكف الأذى والتعرض لعباد الله من علامة إصلاح الأرض وبهجتها وخصبها وعافيتها، وترك الشرائع وظهور المعاصي من علامة فساد الأرض وخرابها.

وتأتي كلمتي فساد وإفساد بمعنى انتشار المعاصي وكثرة الذنوب وتهييج وتشييع الفواحش والشهوات والفتن، ونقض العهود وقطيعة الأرحام ،كما قال عز وجل(وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) [الرعد ٢٥] ،وجعل الله الدار الآخرة، نهاية المؤمنين،ومبتغى الصالحين، في جنان ونعيم للذين تجردوا من براثن التكبر والتجبر والتعالي في الأرض وغمط الحق وظلم الناس، وابتعدوا عن المعاصي والفساد في الأرض، كما قال تبارك وتعالى(تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [القصص: ٨٣].

ومن أعظم الفساد والإفساد في الأرض الكفر بالله،أو الشرك به وعبادة غيره معه، كما قال عز وجل(الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [البقرة: ٢٧]، فإفسادهم في الأرض باستدعائهم إلى الكفر، والترغيب فيه، وحمل الناس عليه، وتعويقهم وصدّهم للنَّاس عن الإيمان، والاستهزاء بالحقّ، وقطع الوُصل التي بها نظام العالم وصلاحه. وللمزيد انظر: تفسير ابن عطية : ٩٩ ،وقوله تعالى(وَمِنْهُمْ

مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ) [يونس: ٤٠]، قال الإمام الطبري رحمه الله(من هؤلاء الذين بُعثتَ إليهم يا محمد من يؤمن بهذا القرآن، ويتَّبِعُك وينتفع بما أُرسلت به، (وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ) بل يموت على ذلك ويبعث عليه، (وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ) أي: المكذِّبين المصرِّين على كفرهم، ولفظ الآية يشمل جميع أهل الكفر) تفسير الطبري [١٥-٩].

الموطن الثالث: خراب العالم وفساد نظامه: يشير الله تعالى في كتابه الكريم على أن لو كان هناك آلهة متعددة لهذا الكون لما صلح أبدا،ولعلا كل إله على الآخر محاولا السيطرة الكاملة،وبهذا سيفسد معها كل شيء ويعم الخراب والدمار، كما لو كان لكل بلد في العالم ملكان أو ثلاثة كيف سيكون الحال، لا يمكن أن يستقيم أبدا، فهذا الكون لا يصلح له إلا إله واحد هو خالقه ومدبره،وخالق كل شيء فيه،على نحو من الصلاح والإصلاح، إنما حل فيه ابن آدم وبيده أفسد كل شيء، كما قال جل وعلا(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) [الأنبياء: ٢٢] قال الإمام القرطبي رحمه الله (لو تعدَّدت الآلهة لكان بينهما التنازع والتغالب، ممَّا يؤدي إلى فساد نظام العالم، وفساد السماء والأرض هو خرابهما وهلاك من فيهما، وذلك بسبب وقوع التنازع بالاختلاف الواقع بين الشركاء، فيبغي بعضُهم على بعض، ويذهبُ كلُّ إله بما خلق، واقتضاب القول في هذا: أنَّ الإلهين لو فُرضا فوقع بينهما الاختلاف في تحريك جرم وتسكينه، فمُحال أن تتم الإرادتان، كما هو مُحالٌ أن لا تتم جميعًا، وإذا تمَّت إحدى الإرادتين كان صاحب الأخرى عاجزًا، وهذا ليس بإله، وجواز الاختلاف عليهما بمنزلة وقوعه منهما) الجامع لأحكام القرآن ١١: ٢٧٩.

والنهي عن الفساد في الأرض فيه حماية وسلامة للكون ومن عليه،فإذا وجد من أهل العقل والفهم الصحيح من ينهون أهل الفساد عن فسادهم،وأهل المعاصي عن معاصيهم،سَلِم الكون ومن عليه من النقم والعقوبات، ولذلك قال عز وجل(فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ) [هود: ١١٦] .

الموطن الرابع: إثارة الفتن والحروب: فمن الفساد في الأرض إثارة الحروب والفتن والقلاقل، وهتك المحارم واستحلالها، وسفك الدِّماء، والكيد للمسلمين وخداعهم ،وقد أخبرنا الله عن

حال اليهود الذين هم أساس الفساد والإفساد في الأرض، ومنهم تعلم غيرهم منهم هذه المهن الخبيثة، فقال عز وجل(كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) [المائدة: ٦٤] ، قال الإمام القرطبي رحمه الله(أي يسعون في الأرض مفسدين أو للفساد، (والله لا يحبُّ المفسدين) أي لا يرضى فعلهم، فلا يجازيهم على إفسادهم إلَّا شرًّا وعقوبة، ونفي المحبَّة كناية عن كونه لا يعود عليهم بفضله وإحسانه، ولا يثيبهم، وإذا لم يثبهم فهو معاقبهم) تفسير القرطبي ٦: ٢٤١ .

الموطن الخامس: السّحر: وتعلم السحر والعمل به كفر وإفساد،ومنه ينتشر الشر كله على البلاد والعباد، كما قال تعالى(وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) وإذا كان تعلمه كفر،فالعمل به واستخدامه كفر لما فيه من الذبح للشياطين والجن والتقرب إليهم وتصديقهم،فعملهم ذلك من قبيل الإفساد في الأرض منتفيا عن الصلاح،كما قال تعالى(قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) [يونس: ٨١] ، وإضافة ﴿ عمل ﴾ إلى ﴿ المفسدين ﴾ يُؤذِن بأنَّه عمل فاسد، لأنه فعل مَنْ شأنُهم الإفساد، فيكون نسجاً على منوالهم، وسيرة على معتادهم، والله لا يؤيِّد هذا العمل الفاسد ولا يثبته ولا يقوِّيه.

الموطن السادس: أكل أموال اليتامى ظلماً: يعتبر من الفساد والإفساد في الأرض،فاليتيم لا حول له ولا قوة إلا بالله،وقد توعد الله من أكل ماله ظلما وبدون وجه حق بالنار جمرا يتأجج في بطنه،يذيقه من الحرق والآلام إزاء ما لقيه اليتيم من الحرقة والآلام على ماله وحقه، كما قال جل وعلا (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) سورة النساء ١٠ ، وقد أمر الله بحفظ مال اليتيم له حتى يبلغ ويحسن التصرف فيه،وأمر بمعاملته بالحسنى،ومخالطته بمقتضى الأخوة الإيمانية التي دعا إليه الإسلام،كما بين ذلك سبحانه في قوله تعالى(وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) [البقرة: ٢٢٠] قال ابن كثير رحمه الله(أي يعلم من قصده ونيته الإفساد أو الإصلاح).

الموطن السابع: السرقة: والسرقة من الفساد والإفساد في الأرض لما فيها من سلب الناس أموالهم وحقوقهم ، والإخلال بالأمن والسكينة،وقد جعل الله حدا للسارق والسارقة حماية للعباد وأموالهم فقال عز وجل(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) ٣٨، وفي قصة يوسف عليه السلام، نفى إخوته سرقة صواع الملك، وأقسموا بالله ما أتوا للإفساد في الأرض ولا لسرقة أموال الناس،كما قال المولى عز وجل عنهم(قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ) [يوسف: ٧٣] ، قال الرازي(حلفوا على أمرين: أحدهما: أنهم ما جاؤوا لأجل الفساد في الأرض، لأنَّه ظهر من أحوالهم امتناعهم من التَّصرف في أموال الناس بالكليَّة، لا بالأكل ولا بإرسال الدوابّ في مزارع الناس، والثاني: أنهم ما كانوا سارقين، وقد حصل لهم فيه شاهد قاطع وهو أنَّهم لما وجدوا بضاعتهم في رحالهم حملوها من بلادهم إلى مصر ولم يستحلُّوا أخذها، والسَّارق لا يفعل ذلك البتة) مفاتيح الغيب ١٨: ١٤٤.

الموطن الثامن: فساد الضمائر: وإذا فسد الضمير ومات الحس الإيماني فلا يبالي المرء بما يفعل،فعن النعمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ألاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَت صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، ألاَ وَهِيَ القَلْبُ) رواه البخاري، فالإنسان هو القلب حقيقةً، فما اتَّصف به القَلبُ فاضت صفاتُه على الأعضاء، والقلب ،وما وقر في القلب ظهر على الجوارح، وهو ملك الأعضاء وهي جنوده، وفساد القلب ظلمته بالضلالة، مما ينتُج عنه فسادُ الجسد كلِّه بانبعاثه في القبائح.

الموطن التاسع: فساد العلاقات الاجتماعية وإفسادها: وفسادها وإفسادها من خلال:

١- **إفساد ذات البين:** وإفساد ذات البين وفسادها حالقة لكل معاني الصلة والقربى بين الناس،فتقطع الصلات والأرحام،وتذكي نار القطيعة والمشاكل.وما أكثر الساعين ممن ضعف إيمانهم،وقل خوفهم من الله، في إفساد ذات البين بين الجيران والأقارب والمتحابين في الله ،فيسعون في ظاهرهم بالإصلاح وهم في الحقيقة يسعون بالإفساد،وهذا هو حال المنافقين والعياذ بالله،لا يهدأ لهم بال ،ولا يطمئن لهم حال وهم يرون اجتماعا وصلة ومحبة بين الناس،وقد حذر الرسول

صلى الله عليه وسلم من إفساد ذات البين، فعن أبي الدرداء رضِي الله عنه قال قال رسول الله، صلَّى الله عليه وسلَّم (ألاَ أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟)، قالوا: بلى، قال(إصلاح ذات البَيْن، فإنَّ فساد ذات البَيْن هي الحالقة) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث صحيح، وفي أثر آخر عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: (هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدِّين) رواه أبو داود والترمذي ،قال شرف الدين الطيبي(في الحديث حثٌّ وترغيب على إصلاح العلاقات الاجتماعية واجتناب الفساد فيها، لأنَّ الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله، وعدم التفريق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمة في الدِّين، لذلك سمَّاها النبي صلى الله عليه وسلم الحالقة لأنَّها تستأصل أصلَ الدِّين الذي يدعو إلى الصَّلاح والإصلاح، فمن تعاطى إصلاحَ ذات البين ورفعَ فسادِها نال درجة عند الله سبحانه وتعالى فوق ما ينالها الصائمُ القائم المشتغل بخويصة نفسه) شرح المشكاة للطيبي ١٠: ٣٢١٣ - ٣٢١٤.

٢- **التخبيب:** والتخبيب له معنى واسع ،فقد يكون بتخبيب المرأة على زوجها وقد يكون بتخبيب الابن على أبيه أو العامل على مكفوله أو غير ذلك مما يندرج تحت مضمامين التخبيب. وتخبيب المرأة على زوجها من أكبر الآثام،والمخبب قد باء بمقت من الله وغضب،وفعله مشابها لأفعال السحرة والشياطين،فإن مهمتهم هي التفريق بين الأزواج،وهي من أعظم ما تتقرب به الشياطين إلى إبليس،كما قال عز وجل (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه)، وكما في صحيح مسلم(إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا، ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرَّقت بينه وبين امرأته، فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت، فيلتزمه) وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تخبيب المرأة على زوجها،فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(ليس منا مَن خبَّب امرأة على زوجِها ولا عبدًا على سيده) رواه أحمد صححه الألباني، وقد نص الفقهاء على أنه (لو خبَّب امرأة على زوجها حتى طلَّقها ثم تزوَّجها وجَب أن يُعاقَب هذا عقوبة بليغة، وهذا النكاح باطل في أحد

القولين في مذهب مالك وأحمد وغيرهما، ويجب التفريق بين هذا الظالم المعتدي وبين هذه المرأة الظالمة) المستدرك على مجموع الفتاوى (٤ / ١٦٦).

٣- **التحريش:** والتحريش بين المؤمنين من أقوى الأسلحة التي يتسلط بها الشيطان ويفرق بها بينهم، ويؤلب قلوب المؤمنين بعضها على بعض،والتحريش هو السعي بالإفساد بين المؤمنين وإغراء بعضهم على بعض، وقد حذر النبي ﷺ أشد تحذير فقال(إن الشيطان قد أيس –وفي رواية: يئس– أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم) رواه مسلم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، وكان ذلك في آخر عهد النبي ﷺ لما فتحت الجزيرة بالتوحيد، وانتشر فيها الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وجاءت وفود قبائل العرب تبايع على الإسلام رسول الله ﷺ، عند ذلك أخبر أصحابه بقوله: إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، في ذلك الوقت، ولكن ماذا بقي له؟ بقي له أن يحرش بينهم مستخدما ركبه من المنافقين وضعيفي الإيمان والعلم،ليصل بهم إلى مآربه من الوقيعة بين المؤمنين. وهذا مشاهد في واقعنا المعاصر بشكل كبير،بين الأسر والقبائل والأخوة والأزواج وحتى بين المتحابين والمتآخين في الله، لماذا؟ لأن الشيطان قد نجح في التحريش بينهم، هذا هو التحريش الذي هو خطة كل صَلِف ومنافق بين المؤمنين، فعن جابر رضي الله عنه قال(كنا في غَزاةٍ، فكسَع رجلٌ من المهاجرينَ رجلًا من الأنصارِ، فقال الأنصارِيُّ : يا لَلأنصارِ، وقال المهاجرِيُّ : يا للمهاجرينَ، فسمَّعَها اللهُ رسولَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال : (ما هذا) . فقالوا : كسَع رجلٌ من المهاجرينَ رجلًا من الأنصارِ، فقال الأنصارِيُّ : يا لَلأنصارِ، وقال المهاجرِيُّ : يا لَلمهاجرينَ، فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم (دَعوها فإنها مُنْتِنَةٌ) رواه البخاري، هذا كان منه لعباً في عرفه مداعبة لكن في عرف الآخر هذا عيب كبير، فتداعى بعضهم إلى بعض، وتثاوروا وجاء الشيطان ليحرش بينهم، فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، بدأت عملية التحريش، فسمع ذلك النبي ﷺ فقال: ما بال دعوى الجاهلية، دعوها فإنها منتنة، فحاول ابن سلول زعيم المنافقين أن يغري الأنصار ليقعوا بالمهاجرين وأن يغري المهاجرين ليقعوا بالأنصار تحت

شعارات ظاهرها إسلامية يا للمهاجرين يا للأنصار، ومع ذلك قال النبي ﷺ(دعوها فإنها منتنة) .

٤- **إتباع الهوى:** وأكثر ما يؤتى الإنسان من جانب الهوى ،وهو مركب إبليس على العباد،فيرى ما تميل إليه نفس العبد وما تهواه فيأتيه من قِبَلِه ، ومن لم يكن هواه تبعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ففي إيمانه نظر،كم قال عليه الصلاة والسلام(لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) حديث صحيح، فمن كان هواه تبعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم،كان مؤمنا كامل الإيمان.وأكثر المفاسد إنما سببها اتباع الهوى والشهوة دونَ أي أَثَارة من عِلم، كما قال تعالى(وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ) [الأنعام: ١١٩] قال الإمام الطبري رحمه الله (أي إن كثيراً منَ الكفار المجادلين في المطاعم وغيرها ليُضلون أتباعهم بالتحريم والتحليل، من غير علم منهم بصحَّة ما يقولون، ولا برهان عندهم بما فيه يجادلون، إنما ركوباً منهم لأهوائهم، واتباعاً لشهواتهم، وطاعة لشيطانهم) تفسير الطبري ١٢: ٧١، وقال عز وجل(بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) [الروم: ٢٩]، وقال سبحانه(أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) [محمد: ١٤]، سواء كان ذلك بشركهم أو بظلمهم أو بارتكابهم للمعاصي والمنكرات.

٥- **النميمة:** وهي نقل الكلام بين طرفين لغرض الإفساد، والنميمة مرض اجتماعي،ووباء فتاك، يصيب فئام من الناس رجالا ونساء، يضمحل معها الإيمان،ويضعف الخوف والتقوى عند العبد،وهي محرمة بإجماع المسلمين وقد تظاهرت على تحريمها الأدلة الصريحة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة وهي كبيرة من كبائر الذنوب،لها آثار سيئة على الفرد والمجتمع، وعلى البلاد والعباد، ومن ذلك التَّفرقة بين الناس، وقلق في قلب الناقل والمنقول له، وعارٌ للناقل والسامع، وحاملة على التجسُّس لمعرفة أخبار الناس، وحاملة على القتل، وعلى قَطْع أرْزَاق النَّاس،كم فرقت من جمع،وكم يتمت من أطفال، وكم أزهقت من أنفس.

عقوبتها إحرام أهلها من الجنة مبتغى الصالحين ،ومنتهى العابدين،كما قال عليه الصلاة والسلام(لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ) رواه البخاري ومسلم، أهلها موصوفون بالهمازين المشاؤون بنميم،كما

قال تعالى (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ *هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) (سورة القلم:١٠،١١)،والنَّمَّامُ شُؤْمٌ لَا تَنْزِلُ الرَّحمة على قوم هو فيهم،عذابها مُعَجَل في القبر، لما روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال (إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال بلى كان أحدهما لا يستتر من بوله وكان الآخر يمشي بالنميمة) رواه البخاري ومسلم، وفي حديث عند أحمد(شِرَارُ عباد الله المشَّاءون بالنَّميمة المفرّقون بين الأحبَّة البَاغون للبرآء العَيْب).

ومن أوصاف النمام أنه إنسان ذو وجهين يقابل كل من يعاملهم بوجه، فهو كالحرباء يتلون بحسب الموقف الذي يريده وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من أمثال هؤلاء فقال(تجد من شر الناس يوم القيامة، عند الله، ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه) رواه البخاري ومسلم، والمسلم الصادق هو من له وجه واحد حيثما كان وله لسان واحد لا ينطق إلا بما يرضي ربه عز وجل.

٦- **الغيبة:** سميت الغيبة بذلك لغياب المذكور حين ذَكَرهُ الآخرون، وهي بشقيها مهلكة،سواءً كان فيه ما يقال أو لم يكن فيه، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن الغيبة (قيل ما الغيبة يا رسول الله؟ فقال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته) رواه مسلم.والغيبة محرمة بالكتاب والسنة والإجماع، وعدَّها كثير من العلماء من الكبائر، وقد شبه الله تعالى المغتاب بآكل لحم أخيه ميتاً فقال (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه) [الحجرات: ١٢].ولا يخفى على ذي لب أن هذا المثال يكفي بمجرد تصوره في الدلالة على حجم الكارثة التي يقع فيها المغتاب، ولذا كان عقابه في الآخرة من جنس ذنبه في الدنيا، فقد مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم ليلة عرج به بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، قال فقلت (من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم) وقد حرمها الله تعالى وحذر عباده المؤمنين من مقارفتها،فقال عز وجل(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) [الحجرات: ١٢] ،وحرمها النبي صلى الله عليه

وسلم بقوله(روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل المسلم على المسلم حرامٌ؛ دمُه وماله وعِرضه) رواه مسلم،وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبُك من صفيةَ كذا وكذا (تعني قصيرةً)، فقال (لقد قلتِ كلمةً لو مُزجت بماء البحر لمزجَتْه) رواه أبو داود بسند صحيح ،وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا معشرَ من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمانُ قلبَه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبِعوا عَوْراتهم؛ فإنه من اتبع عَوْراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته) رواه أبو داود بسند صحيح،وعن سعيد بن زيدٍ رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن مِن أَرْبَى الربا: الاستطالةَ في عِرض المسلم بغير حق) رواه أبو داود بسند صحيح .

من خلال ما سبق من الأدلة يتبين لنا جليا شناعة الغيبة وما يترتب عليها من عقاب وعذاب،وأن على المسلم أن يتجنبها وخصوصا في جانب النساء إذ تجد لها عندهن مرتعا خصبا.وليس من باعث على اقترافها سوى الحسد والسخرية والاحتقار،ومجاراة أصحاب السوء واجتماعات الفساد.

ولكي يتجنبها المسلم ويسلم من نارها وشرها عليه أن يتذكر قبح هذه المعصية، وما مثل الله به لأهلها، بأن مثلهم مثل آكلي لحوم البشر، وأنه يُعرِّض حسناته إلى أن تسلب منه بالوقوع في أعراض الآخرين، فإن حسناته يوم القيامة تنقل إلى من اغتابه بدلاً عما استباحه من عرضه، كما أن عليه أن يرجع إلى الله سبحانه وليتب إليه، وليبدأ فليتحلل ممن اغتابه، ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من كانت له عند أخيه مظلمة من عرضه أو شيء فليتحلله اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه) متفق عليه من حديث أبي هريرة، فإن خشي إن تحلله أن تثور ثائرته ولم يتحصل مقصود الشارع من التحلل، وهو الصلح والألفة، فليدع له، وليذكره بما فيه من الخير في مجالسه التي اغتابه فيها، ومما ينبغي التنبه له أن الشارع أباح الغيبة لأسباب محددة من باب الدخول في أخف المفسدتين دفعا لأعظمهما وهي:

الأول: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان أو القاضي، وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته، فلان يعمل كذا فازجره عنه.

الثالث: الاستفتاء، بأن يقول للمفتي ظلمني فلان أو أبي أو أخي بكذا فهل له كذا؟ وما طريقي للخلاص ودفع ظلمه عني؟

الرابع: تحذير المسلمين من الشر، كجرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين، ومنها: إذا رأيت من يشتري شيئاً معيباً ، أو شخصا يصاحب إنساناً سارقاً أو زانيا أو ينكحه قريبة له ، أو نحو ذلك ، فإنك تذكر لهم ذلك نصيحة، لا بقصد الإيذاء والإفساد.

الخامس: أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته، كشرب الخمر ومصادرة أموال الناس، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ولا يجوز بغيره إلا بسبب آخر.

السادس: التعريف، فإذا كان معروفاً بلقب: كالأعشى والأعمى والأعور والأعرج جاز تعريفه به، ويحرم ذكره به تنقيصاً. ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى . وقد نص على هذه الأمور الإمام النووي في شرحه لمسلم ، وغيره.

٧- **الحسد والغيرة:** والحسد والغيرة من أشد ما يفسد الروابط الاجتماعية، ومن أعظم ما يهدم بنية الأخوة الإيمانية،إذلا هم للحاسد سوى الإضرار بالمحسود، ولا يهدأ له بال حتى يرى زوال النعمة عن المحسود،أو إمراضه والإضرار به، نظرا لما يتمتع به المحسود من قسمة الله وفضلة في تقوى أوعلم أوإيمان ،أو إيثار من مال وزوجة وأبناء، إنتقاما للنفس وإرضاءً للنزوة الشيطانية،دون النظر في العواقب المحتمة،والنتائج المؤلمة،وقد حرَّم الله الحسد ولم يذكره إلا في مقام الذم،كما قال تعالى(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم) البقرة ١٠٩ ،وقال عز وجل(أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) وقال سبحانه(فسيقولونا بل تحسدوننا) وقال جل شأنه(ومن شر حاسد إذا حسد)،

والحاسد بلسان حاله وطبعه معترض على قسمة الله بين عباده (نسأل الله السلامة) وهذا بحد ذاته مهلكة له،إذ الإعتراض على الله وقدره وقسمته سنة سنها إبليس ويتناقلها كل حاسد وباغٍ على العباد.وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحسد، وأنه مناف للأخوة الإيمانية والمحبة والألفة،فقال(ولا تحاسدوا) وقال عليه الصلاة والسلام(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ولو يعلم الحاسد عظيم الخسارة التي يبوء بها وهي خسارة رأس ماله وشقا عمره من الحسنات والأعمال الصالحة التي يأخذها المحسود وهو مطمئن في بيته، ما تجرأ على الحسد ولا أتعب نفسه بمراقبة عباد الله.ولا علاج لذلك إلا إذكاء روح التقوى والخوف من الله ،وترسيخ خاصية اليقين بأن كل مخلوق مقدر له رزقه وعمله وأجله،فلا يعدوه شيء قد كُتِب له، فإذا كان كذلك فقد سَلِم وأَسْلَم الناس من شره. وما سبق من مواطن الفساد ليست كل ماهو موجود في الواقع، ولكنها أبرزها وأهمها.

٧- **كتمان الشهادة:** من أظلم الظلم،وأعظم الجرم بعد الشرك بالله كتمان الشهادة، لما ينتج عنها من ضياع الحقوق،وإعانة للظالم على ظلمه، وتمكينه من حق ليس له، وقد شنع الله جرم كاتمها فقال عز وجل(ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) هذه الآية وإن كانت نزلت في شأن اليهود والنصارى الذين كتموا شهادة أن الأنبياء كانوا مسلمين ،إلا أنها عامة في كل من كتم شهادة عنده من لله ولم يظهرها لإحقاق الحق وإبطال الباطل، وتمكين صاحب الحق من حقه، وفي آية أخرى قال عز وجل(ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) قال ابن كثير رحمه الله(أي لا تخفوها وتغلوها ولا تظهروها، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره كتمان الشهادة من أكبر الكبائر) فالواجب على المسلم الحذر من كتمانها وأن يبادر بها حين طلبها منه،لكي لا يقع فيما نهى الله عنه من الظلم.

والمقصود مما سبق أن يبتعد المسلم كل البعد عن مواطن الفساد والإفساد،وأن يتقي الله جل وعلا في باطنه وظاهره وسره وعلنه ومنشطه ومكرهه، وأن يكون عضواً إيجابيا في مجتمعه، يحب في الله ويكره في الله، ويتمنى لإخوانه من المحاب ما يتمناه لنفسه،ويكره لهم من المضار ما يكرهه لنفسه.وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.